عظمة المكاسب والمنجزات نابعة من عظمة الثورة وأهدافها السامية

علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية

مدارات فكرية

الإسلام المكي والإسلام المدني وهل نسخ المدني المكي؟

* نهرو طنطاوي
nehrobasem@hotmail.com

يحاول البعض تقسيم الإسلام إلى إسلامين، إسلام مكي وإسلام مدني، ويقصدون بالإسلام المكي هو فترة الثلاثة عشر عاما التي قضاها الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة، والإسلام المدني هو العشرة أعوام التي قضاها الرسول في المدينة بعد الهجرة إليها من مكة.

يزعم البعض وخصوصا بعض المثقفين الذين كانت لهم محاولات إصلاحية في فهم الإسلام، أو محاولات تأويل للإسلام بحيث يمكنه -أي الإسلام- أن يتعايش في العصر الحاضر عصر الديمقراطية والعلمانية والحرية والتقدم العلمي والتقني، حيث يزعم البعض أن الإسلام كمنهج لا يمكنه أن يتعايش في القرن الحادي والعشرين مع الآخر، وذلك لأن الإسلام حسب اعتقادهم وحسب فهمهم يحتوي على تشريعات لا يصلح تطبيقها الآن، وسوف نسرد الآن بعضاً من هذه الأفكار والآراء لبعض المثقفين حول المرحلة المكية والمرحلة المدنية:

- البعض يرى أن الهجرة كانت خطوة تكتيكية واستراتيجية من الرسول لنشر الإسلام، بمعنى أن الهجرة كانت خطوة سياسية من الرسول أو من الله، حيث لم يستجب أهل مكة للدين الجديد.

- البعض يرى وحسب فهمهم أن الجهاد شرع لقتال الكفار حتى يدخلوا في الإسلام، وذلك حين فشل الرسول في نشر الدعوة بالطرق السلمية على حد زعمهم فرأى الرسول أن ينتهج أسلوب القوة والعنف لنشر دعوته.

- البعض يرى أنه من الواجب الرجوع لقرآن المرحلة المكية حيث أنه خال تماما من أي تشريع يحض على القتال والجهاد، وكانت معظم آياته تتصف بالعفو والصفح عن الكافرين.

- البعض يرى أنه أما وقد تم قيام دولة إسلامية وتم نشر الإسلام في بقاع كثيرة من الأرض فيجب العودة إلى الإسلام المكي الذي يدعو إلى العفو والصفح والصبر الجميل، ولم يعد هناك حاجة للإسلام المدني.

- البعض يرى أن المرحلة المدنية نسخت المرحلة المكية التي كانت تتسم بالعفو والصفح (وهذا قول مفتيوا الإرهاب ورجال الدين المتعصبون وتلقفه البعض ممن يصطادون في الماء العكر).

وهناك الكثير من الأقاويل التي قيلت والدراسات التي كتبت حول التفريق والتقسيم والتمييز بين المرحلة المكية والمرحلة المدنية، ولست أدري على أي شيء اعتمد هؤلاء في هذه القسمة وهذا التفريق وهذا التمييز الجائر والجاهل بحقيقة الإسلام؟، بل بلغت الجرأة ببعض المثقفين أنه قال إن الأصل في الإسلام هو المرحلة المكية، والمرحلة المدنية كانت مرحلة عابرة لتأمين الدعوة ونشر الإسلام ولا بد من نسخها وإلغائها (أي المرحلة المدنية) والرجوع مرة أخرى للمرحلة المكية، حتى أن بعض الكتاب الأقباط قد تلقف هذا القول وعرضه على إخوانه المسلمين كحل لمشكلة الإسلام المدني، وكي يصلحوا دينهم الذي أفسدته المرحلة المدنية الذي كان شعارها الدماء ثم الدماء ثم الدماء وهذا ما قاله بالنص:

(وللحل هو بإصلاح أعمال المسلمين بتقديم إسلام مكي وليس مدني لان الإسلام في المدينة (المدني) هو كاره للآخر محط من قدره مستهين بعقيدة الآخر بل سافك ويستحل دماء الآخر)

وأنا أعذر هؤلاء المثقفين والكتاب، وألومهم في نفس الوقت.

أولا: أعذرهم لأن ما قالوه لم يكن نتيجة بحث ودراسة للقرآن، إنما نقلوه كما هو دون غربلة ودون تحقيق ودون تفنيد من كتب الفقهاء وكتب السير والتفاسير وكتب المجتهدين والملفقين والناسخين والمضللين والمضلين الذين ابتلي بهم الإسلام والقرآن، فقام بعض المثقفين بنقل كلامهم حرفيا وتقسيماتهم واجتهاداتهم وكذبهم على الله ورسوله وجعلوه في أطروحاتهم الإصلاحية المزعومة، وكأن ما جاء به الفقهاء والمفسرون والمجتهدون هو الإسلام.

وتعمد البعض التجاهل والتغافل تماما للقرآن الكريم والنظر فيه وتدبره، وكأن الإسلام فقط هو كتب التفاسير وآراء واجتهادات الفقهاء وكتب الأحاديث، وليس من ذكر إطلاقا للقرآن، وكأن القرآن نزل لدين آخر غير الإسلام، أو نزل لأناس يعيشون في كوكب زحل.

وإن ذكر أحد منهم القرآن أو استدل بشيء منه، يكون على الطريقة المعهودة طريقة انتقاء بعض الجمل وبعض الكلمات التي تخدم بعض التوجهات وبعض الأغراض الفكرية الشخصية.

وهذه هي طريقة بعض المثقفين التي عودونا عليها في التعامل مع الإسلام، فهم يلعنون رجال الدين والفقهاء والمفسرين الذين حرفوا الإسلام وأضافوا إليه وأنقصوا منه، وهذا حينما تقتضي مصلحة المثقف وتوجهه ذلك، أما حين يقوم المثقف بوضع خطة إصلاحية على حد زعمه لإصلاح الإسلام أو انتقاده، فماذا يفعل المثقف؟ يقوم بانتقاء بعض الاختلاقات وبعض التقسيمات وبعض الاجتهادات التي وضعها الفقهاء والمجتهدون ليجعلها أساسا يبني عليه خطته الإصلاحية للإسلام، مع أن نفس المثقف يصرخ ليل نهار في كل كتاباته بأن اجتهادات الفقهاء ما هي إلا أفكار بشرية يؤخذ منها ويرد وتحتمل الصواب وتحتمل الخطأ، وليست من الدين في شيء.

والله لقد احترنا مع هؤلاء المثقفين فلا نعلم ماذا يريدون؟؟ تارة يتبرءون من الفقهاء ورجال الدين، وتارة يعتمدون في معظم أطروحاتهم ومقالاتهم وانتقاداتهم على اجتهادات الفقهاء ورجال الدين، لماذا يفعلون ذلك؟ الله وحده يعلم ما تخفي الصدور.

ثانيا: ألوم هؤلاء المثقفين على عدم دراستهم للإسلام من منبعه الأساسي والحقيقي والصافي وهو القرآن الكريم.

والآن نناقش موضوع الجهاد بين المرحلة المكية والمرحلة المدنية لنرى ما هي الحقيقة حول هذا الموضوع وهل هناك إسلامان إسلام مكي وإسلام مدني كما يدعي البعض؟ وهل الإسلام المكي كان يعتمد على الصفح والعفو والصبر في دعوته، بينما الإسلام المدني اعتمد العنف وسفك الدماء والقوة في دعوته كما يزعم البعض؟.

هذا ما سنناقشه الآن، وسيكون نقاشنا في محورين: الأول: توضيح حقيقة المرحلة المكية وحقيقة المرحلة المدنية في الإسلام، والثاني: هل الإسلام المدني نسخ الإسلام المكي والعكس؟

أولا: المرحلة المكية

يقول البعض أن المرحلة المكية كانت تتصف بالعفو والصفح والمسامحة والصبر على الأذى، والمرحلة المدنية كانت على غير ذلك تماما، فقد كانت للقتال وعدم العفو وعدم الصفح وكان الانتقام من أبرز سماتها، وهنا مغالطة خطيرة، إن المرحلة المكية كان من سماتها العفو والصفح والصبر على الأذى لأن رد فعل أهل مكة على الدعوة الجديدة لم يتجاوز الأذى المحتمل والذي يمكن احتماله كالسب والشتم والتطاول والاستهزاء والسخرية والحبس والمنع والمصادرة وبعض الأذى الجسدي، فبالتالي أمر الله سبحانه الرسول وأصحابه بالصبر والعفو والصفح والإعراض عنهم، ولكن تطور الأمر في نهاية المرحلة المكية وتطور رد فعل أهل مكة على الدعوة الجديدة، فبدلا من السب والشتم والسخرية والاستهزاء والحبس والمنع والمصادرة، تطور الأمر لديهم إلى النفي والتآمر بالقتل والتصفية الجسدية ومصادرة الأموال والأولاد والبيوت والتعذيب الشديد حتى أنهم أقاموا معسكرات للتعذيب لثني أتباع الرسول عن هذا الدين الجديد بالقوة، فما كان من الله سبحانه بعد هجرة المسلمين إلى المدينة وتكوين دولة وجيش إلا الأمر بقتال أهل مكة، لا لأجل كفرهم بهذا الدين وتكذيبهم له، كلا، بل لاسترداد ما اغتصب من المسلمين من ديار وأموال وحقوق ورفع الظلم والتعذيب عن المستضعفين الذين عجزوا عن الهجرة مع الرسول والمسلمين إلى المدينة، وبعد استرداد الحقوق المغتصبة ورجوع الحق لأهله ورفع الظلم والاضطهاد عن الضعفاء، يتم العودة مرة أخري إلى العفو والصفح والصبر على الإهانة والسخرية والأذى .

المرحلة المكية كما جاءت في القرآن

بدأ الإسلام واستمر في مرحلتين رئيسيتين الأولى:

لقد بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، فبدأ بعشيرته يدعوهم إلى الإسلام وعبادة الله الواحد وترك عبادة الأصنام والأوثان، ثم إلى قومه، ثم إلى أهل مكة والناس جميعا، فما أن بدأ الرسول يبلغ رسالته ودينه إلى الناس إلا وعارضه القوم وآذوه وناصبوه العداء، فما كان من رسول الله إلا أن صبر على ما أوذي، فأمره ربه أن يعرض عمن آذاه وأن يعفو عنهم ويصفح الصفح الجميل، وهذا ما كان من الرسول مع أهل مكة في بداية الدعوة في مكة على النحو التالي:

موقف الرسول من قومه وأهل مكة

- دعا الرسول قومه إلى الدين الإسلامي بالحكمة والموعظة الحسنة.
- تحمل الرسول أذى قومه له، فصبر وعفا وصفح الصفح الجميل.
- لم يعتد رسول الله على أحد ولم يجبر أحدا على اعتناق الإسلام .
- كل ما فعله الرسول لم يتجاوز حدود الكلمة والنقد والرأي والحوار.
- عرض ما لديه من دين وعقيدة وانتقد ما عليه أهل مكة من وثنية وعادات سيئة.
- لم ينازع أحدا على سلطة أو جاه أو سيادة .

وهذه بعض الآيات التي وردت في السور المكية والتي تدلل على ما ذكرنا:

قال تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)

وقال تعالى: (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء)

قال تعالى: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين × وما كان لنفس ان تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون)

وقال تعالى: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

وقال تعالى: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون × ولا أنتم عابدون ما أعبد × ولا أنا عابد ما عبدتم × ولا أنتم عابدون ما أعبد × لكم دينكم ولي دين)

وقال تعالى: (قل لا تسألون عما أجرمنا و لا نسأل عما تعملون)

وقال تعالى: (وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون)

وقال تعالى: (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء)

وقال تعالى: (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون)

وقال تعالى: (إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون)

وقال تعالى: (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعكم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)

وقال تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل)

وقال تعالى: (ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل)

قال تعالى: (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)

قال تعالى: (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)

قال تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم)

قال تعالى: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)

ثم مضت الأيام والشهور والسنين، فما كان من القوم إلا أن اشتد أذاهم لرسول الله ومن معه إلى أن وصل الأذى إلى ذروته، فتآمروا لقتله ونفيه من وطنه هو ومن آمن معه، فأمر الله رسوله أن يغادر وطنه ويذهب إلى المدينة هو ومن آمن معه واستولى المستكبرون والطغاة من أقوياء مكة على أموال المسلمين وديارهم وأبناءهم ومنعوهم من العودة إلى وطنهم مرة ثانية، وانقسم اتباع الرسول إلى قسمين قسم هاجر معه أو لحق به بعد الهجرة وقسم بقى في مكة ولم يهاجر، والذين لم يهاجروا انقسموا إلى قسمين:

قسم كانوا يستطيعون الهجرة ولم يهاجروا.

وقسم لم يستطيعوا الهجرة مطلقا لعدم قدرتهم وضعفهم وضيق ذات الحال بهم.

ونخلص من هذه المرحلة بثلاث مواقف مختلفة هي كالتالي:

موقف الرسول من قومه وأهل مكة وقد سبق ذكره.

موقف أهل مكة من الرسول وأتباعه .

موقف أتباع الرسول .

ونفصل الموقفين في النقاط التالية:

موقف أهل مكة من الرسول وأتباعه (1 ـ 2)

- أذوا رسول الله وأتباعه واضطهدوهم وعذبوهم .
- لم يردوا على الحوار بالحوار ولا الرأي بالرأي ولا النقد بالنقد .
- منعوا الناس من اتباعه بالقوة والقهر والتعذيب .
- تآمروا على رسول الله لنفيه واستفزازه من الأرض أو قتله .
- النتيجة كانت خروج الرسول مكرها من مكة وتركه لوطنه متخفيا ولجوئه إلى المدينة .

قال تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ٣٠ - الأنفال

وقال تعالى: (وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً) ٧٦ - الإسراء

وقال تعالى: (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) ١٣ - محمد

وقال تعالى: (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا) ٤٠ - التوبة

وقال تعالى: (الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) ٤٠ - الحج

وقال تعالى: (فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) ١٩٥ - آل عمران

وقال تعالى: (لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) ٨ - الحشر

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَاءكُم مِّنَ الحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ) ١ - الممتحنة

وقال تعالى: (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٩ - الممتحنة

وقال تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) ١١٠ - النحل

من هذه النصوص القرآنية نتبين كذب ادعاءات البعض ممن قالوا أن الهجرة كانت خطوة سياسية من الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن هذه النصوص القرآنية نتبين أيضا أن أهل مكة هم من طردوا رسول الله ومن آمن معه من المسلمين من وطنهم وحاولوا قتلهم، ونتبين أيضا أن الرسول هاجرا رغما عنه، وأخرج هو وأصحابه بالقوة والإرهاب وتم الاستيلاء على ديارهم وأموالهم وأبناءهم بغير حق.

وقد ورد في بعض كتب السير أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن مكة بعد الهجرة: (والله إنك من أحب البلاد إلى قلبي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت) وهذا يتفق تماما مع ما جاء في القرآن.

موقف اتباع الرسول

أتباع الرسول كانوا على قسمين:

قسم هاجر قبل هجرة الرسول ومعه وبعده واستولى أهل مكة على أموالهم وديارهم وأبناءهم.

قال تعالى: (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)٤٠- الحج

وقال تعالى: (فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) ١٩٥ - آل عمران

وقال تعالى: (لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) ٨-الحشر

وقال تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) ١١٠-النحل

قسم اتبعوا الرسول وبقوا في مكة ولم يهاجروا وهم على قسمين

- قسم استطاعوا أن يهاجروا ولم يهاجروا .

قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)٧٢ - الأنفال

وقال تعالى: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً × وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّى يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ)٨٨ - ٨٩ النساء

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً)٩٧ - النساء

- قسم لم يستطيعوا الهجرة لضعفهم وفقرهم .

قال تعالى: (إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً × فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً × وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيمًا) ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ النساء.

في الحلقة القادمة من هذا المقال ستناول المرحلة المدنية بمزيد من الفراءة والبحث والتحليل.

(يتبع يوم السبت القادم)

* داعية اسلامي مصري ومدرس في الازهر

هل تنتصر حماس بالمهرجانات الخطابية؟!

د. عبدالحميد الأنصاري*

كتبت في مقالة سابقة بعنوان من يدفع فاتورة فوز حماس؟ في ٢٠٠٦/٢/٢٠ عن أفراح الجماعات السياسية الإسلامية بفوز حماس في الانتخابات رغم أنها تمت في ظلال الحراب الإسرائيلية، وقد غمرتهم بهجة الانتصار فلم يشكك أحد منهم في شرعية الانتخابات كما فعلوا في شرعية الانتخابات العراقية بسبب الوجود الأمريكي، وقلت إن حماس الآن على مفترق طرق فإما أن تتحمل مسؤولياتها كاملة تجاه الشعب الفلسطيني، بأن تقرأ الأوضاع والمعطيات الموضوعية قراءة واقعية، تحترم الاتفاقيات الدولية التي التزمت بها السلطة الفلسطينية والتي على أساسها وصلت حماس للحكم، وكل هذا يتطلب من حماس، نبذ العنف أسلوباً في التعامل الدولي، ووقف التصريحات المباركة للعمليات الانتحارية ضد المدنيين الإسرائيليين، حتي يمكن للمجتمع الدولي ان يقبل بها ويتعامل معها، وليس مطلوباً من حماس ان تلقي سلاحها ولا أن تتخلي عن المقاومة المشروعة، فهذا حقها من غير منازع وبموجبها نالت ثقة الناخب الفلسطيني، ولكن من حق الشعب الفلسطيني علي حماس أن تغير أسلوبها في المقاومة وهي في الحكم عما كانت عليه وهي في المعارضة، حتي لا تزداد الأمور تأزما، وتتفاقم أوضاع الفلسطينيين سوءاً.

وإما أن تختار حماس الاستمرار في نفس أسلوبها وهي في المعارضة فتتمسك بشعاراتها القديمة وتكرر لاءاتها المستهلكة، فتصدم برفض المجتمع الدولي وعدم التعامل معها ومن ثم تجر الفلسطينيين الي مزيد من المأزق المالي الذي قد يصل الي الاختناق والحصار والتجويع، وحينئذ لن يكون المجتمع الدولي هو الملوم فحسب بل ايضاً حكومة حماس التي لم تحسن قراءة الوضع ولم تتصرف بحكمة وحسن تبصر بالعواقب.

لا يفيد حماس لوم المجتمع الدولي وتكرار القول بضرورة احترام خيار الشعب الفلسطيني، إذا كانت حماس نفسها لا تحترم حتي الآن خيارات المجتمع الدولي بما فيه جامعة الدول العربية ومقررات القمم العربية بضرورة استمرار عمليات التفاوض والسلام.

ما هو حاصل حتي الآن وبعد تولي حماس للسلطة، ان قياداتها ازدادت تصلباً، وبلغ الاستخفاف أن بعضهم هوّنوا من المساعدات المالية الدولية - (٩٠٠ مليون دولار سنوياً تدفعها أوروبا والولايات المتحدة) وذلك اعتماداً علي ان العرب وإيران ستدعمهم ماليا، حتي قال قائلهم نعم للجوع ولا للركوع لن نقبل لقمة الذل ونعيش علي الزعتر والزيتون!! حسناً: لماذا تشتكون إذن؟ ولماذا تهددون ثم تقبلون لقمة الذل من الأعداء؟ ومن قبلهم خطب رمز ديني متحمساً ومتحدياً الغرب وقال: سنقاطعهم ونعيش علي التمر واللبن وسنعود الى النخيل والابل ، وليته صدق ولكن هيهات فهو شعار خادع، فهم أحرص الناس علي الحياة، وشعارهم لتحميس الجماهير واثارة غضبها كما صرحوا بذلك علناً ،ولا يعالج وضعاً معقداً .

لقد قلت: ان هؤلاء الذين يشجعون حماس علي التصلب، وعدم قبول مبادرة السلام العربية، لن يتبرعوا من أموالهم ولكنهم سيملأون الأرض فتاوي وخطباً بضرورة نُصرة حماس - المجاهدة - بشرط ان يكون التبرع من أموال غيرهم!!

وحصل ما توقعته تماماً، لقد فشلت حماس في ادارتها للشأن الفلسطيني: أمنياً وسياسياً واقتصادياً، ووقفت عاجزة عن توفير رواتب الموظفين ووصلت الي شفير الانهيار وبدلاً من ان تعترف بخطئها اتهمت الآخرين بالتآمر عليها. أي تآمر والمواقف واضحة ومعلنة مسبقاً؟! لقد تحول حوار عباس هنية بسبب الأزمة المالية الي حرب شوارع بين مسلحي فتح وحماس وسقط العشرات ثم تطورت الي اشتباكات خلّفت قتلي وجرحي ولاح في الأفق شبح الحرب الأهلية وزاد الوضع سوءاً لسان مشعل المنفلت وأدي الي فتنة دموية. وكانت قاصمة الظهر حين كشفت الأردن خلية لحماس في الأردن، نقلت أسلحة ومتفجرات مستهدفة منشآت وشخصيات أردنية، وقدمت الأردن أدلة دامغة صدّقها عباس وأنكرها هنية، وردّت الأردن باعترافات المتورطين عبر التلفزيون الأردني. لكن الضربة الموجعة حصلت بانقطاع المدد المالي الدولي وتوقفت الرواتب والموارد وعاش الفلسطينيون أزمة خانقة وباتوا يحصلون علي حاجاتهم الضرورية بالدين وتوقفت السيارات عطشي للوقود وحصلت وفيات لنقص الدواء.

وهكذا وفي عهد حماس، عادت القضية الفلسطينية الي نقطة الصفر ودارت دورتها كاملة منذ سنة ١٩٤٨، دورة كلها فشل وإخفاق وحروب عبثية وملياريات أهدرت ونكبات وهزائم وكما يقول أحمد الجارالله في السابق رفضنا قرار التقسيم وقاطعنا العالم واليوم جاءت حماس فقاطعنا العالم وحاصرنا مالياً ووضع القضية في ختام دورتها المأساوية.. فهل في الوقت متسع لتعاود حماس قراءة مسيرة السلام وتقتنع بأنها لن تستطيع وحدها محاربة العالم كله؟ حماس تريد تبرئة ساحتها وتغطية فشلها بتوجيه اللوم الي اسرائيل والولايات المتحدة وأوروبا!!

ولكن أليس كل ذلك كان متوقعاً معلناً منذ البداية فلماذا لوم الآخرين وتبرئة الذات؟! وبدلاً من ان تستفيد حماس من دروس الفشل وتستمع الي صوت العقل والحكمة وتعترف بمبادرة السلام العربية التي دعتها الجامعة والدول العربية لقبولها، هددّت حماس بتفجير انتفاضة اقليمية رداً علي الحصار الدولي، ودعا هنية الي مظاهرات عربية حاشدة وحملة لجمع التبرعات ونشط نصراء حماس في البلاد العربية مطالبين حكوماتهم وشعوبهم بنجدة حماس ودعمها مالياً وسياسياً فقام مرشد الاخوان في مصر بمناشدة العرب والمسلمين والمسيحيين الحقيقيين بالتبرع وطالب السلفيون في البحرين والكويت بمثل ذلك ودخل بن لادن بشريطه علي الخط معتبراً مقاطعة حماس حرباً صليبية صهيونية .

وفي الدوحة وبمبادرة شخصية من الشيخ القرضاوي احتشد جمع من المشايخ المشايعين لحماس وتباروا في خطب حماسية لنصرة فلسطين والهدف نصرة حماس!! وهدد القرضاوي بمقاطعة البنوك الممتنعة عن تحويل الرواتب واتهم هنية أمريكا بعرقلة المساعدات وكان القيادي الحماسي حسن الصيفي قد هدد - من قبل - بتفجير انتفاضة اهلية شاملة تقلب الطاولة علي رؤوس الجميع في حال استمرار الحصار!!.

لماذا كل هذه التهديدات؟ ولماذا هذه التصريحات والخطب العنترية؟! أليس من حق المانحين ان يطمئنوا الي سلامة وأهلية (آلية) المساعدة والمنحة؟!

ها هي اللجنة الرباعية تقرر مؤخراً إرسال المساعدات الي الشعب الفلسطيني عبر آلية دولية مؤقتة لفترة (٣) أشهر وعن طريق مكتب عباس مبررة ذلك حتي لا تنهار السلطة الفلسطينية وحتي اسرائيل قررت استئناف بعض المساعدات الي السلطة بعد أن أوشكت الضفة الغربية علي السقوط في كارثة اقتصادية.

ولكن السؤال المهم هنا: من الذي أوصل الحالة الفلسطينية الي هذا الوضع؟ أليست سياسة حماس المتصلّبة والتي تريد كل شيء ولا تريد ان تلتزم بشيء؟! وأليست مواقف جماعات الإسلام السياسي التي تشجع حماس علي عدم قبول مبادرة السلام العربية؟! أليس الأولي بهؤلاء تقديم النصيحة المخلصة لمصلحة الشعب الفلسطيني الصابر؟! والي متي يستمر الفلسطينيون ضحايا الشعارات العنترية المتاجرة بقضيتهم؟! والي متي يستمر الشعب الفلسطيني أسيراً للمعونات والمساعدات والمنح؟! أين أثرياء فلسطين ولماذا لا يعملون علي تنمية اقتصاديات الشعب الفلسطيني، تغنيهم عن الحاجة؟! هل تريد حماس بالخطب الحماسية والفتاوي النارية وتحدي المجتمع الدولي والمقاطعة ان تنتصر وتحل القضية؟!.

* كاتب قطري / عميد كلية القانون والشريعة بجامعة قطر سابقاً

الإنسان.. محور غائب في فقه الإسلام السياسي

* فاخر السلطان
ssultann@hotmail.com

بما أن مدارس التفسير الديني، الشيعية منها والسنية، المنضوية تحت مظلة المدرسة الأصولية التقليدية ومدرسة الإسلام السياسي، تعتقد بأن تفسيرها الديني، وبالذات معرفتها لله ولكلامه جلّ وعلا، هو تفسير مطلق، فإنها بالتالي لا تستطيع أن تعترف بـ"تنوع" تفاسير معرفة الله و"تعدد" شروحات ما ورد من كلام الباري إلى الأنبياء والرسل والبشر.

ورغم أن المعرفة الأفضل بالله تؤدي إلى فهم أفضل لكلامه ولما ورد منه إلينا، لكن في المقابل لا يمكن إنكار أن أحد عوامل الفهم الأفضل هو تعدد طرق إثبات هذا الفهم.

وفي هذا الإطار فإن المدرسة الدينية التقليدية ومدرسة الإسلام السياسي لا يمكن لها قبول تعدد طرق الإثبات، وذلك لأنها في الأساس لا تؤمن سوى بالفهم المطلق للدين، وبالتالي فإنها لا تعترف إلا بمعرفتها بشأن وجود الله ولا تقبل سوى فهمها لكلام الباري. أي أنها تنحى منحى بعيدا عن الاعتراف بحق الإنسان المطلق في المعرفة سواء كانت دينية أو غير دينية.

فاختلاف طرق "معرفة" الله يؤدي بطبيعة الحال إلى اختلاف "فهم" وجوده وكلامه. وهذا الاختلاف في الفهم تحدده طرق الإثبات، التي بدورها توصل إلى فهم أفضل. وعليه تختلف معرفة الله بالنسبة للأصوليين في المذهبين السني والشيعي اختلافا كبيرا. كما تتباين مدارس معرفة الله وفهم كلامه في كل مذهب، ولكنها للأسف لا تستطيع أن تقر بتعددية المعرفة وتنوع الفهم وتجهد باستمرار لإلغاء الآخر المغاير في فهمه. فالمدرسة السلفية تختلف في تفسيرها حول معرفة الله وفهم كلامه عن المدرسة الأزهرية. وكذلك تختلف المدرسة الأصولية عن المدرسة الإخبارية في الجانب الشيعي. وتعرّف الصوفية الله وتفهم كلامه بطريقة مغايرة وبشكل مختلف عن المدرسة الأصولية. وهي - أي الصوفية - لديها أي